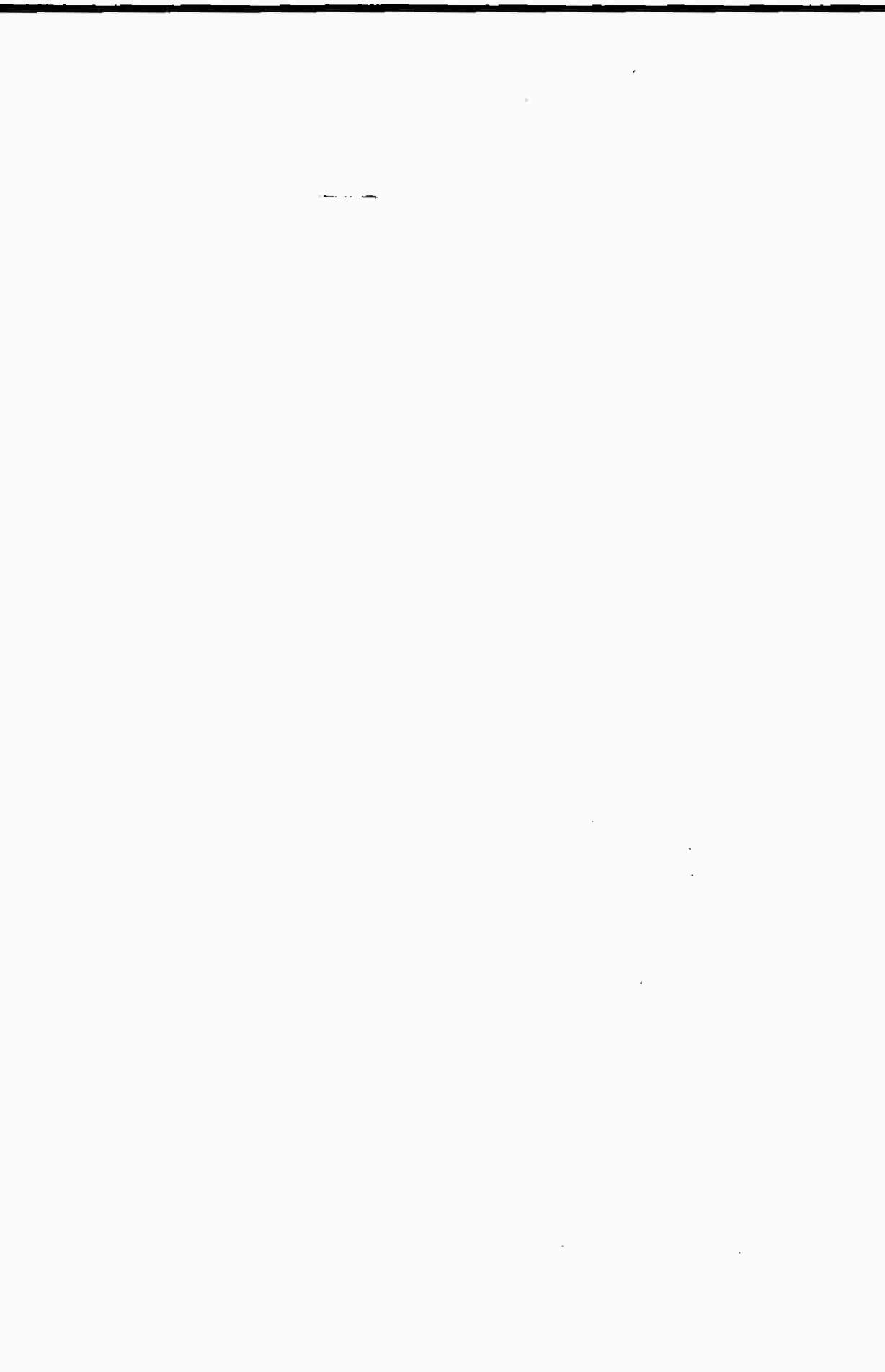


**الاحتلال الفرنسي للجزائر  
وموقف الدولة العثمانية منه  
" قراءة جديدة "**

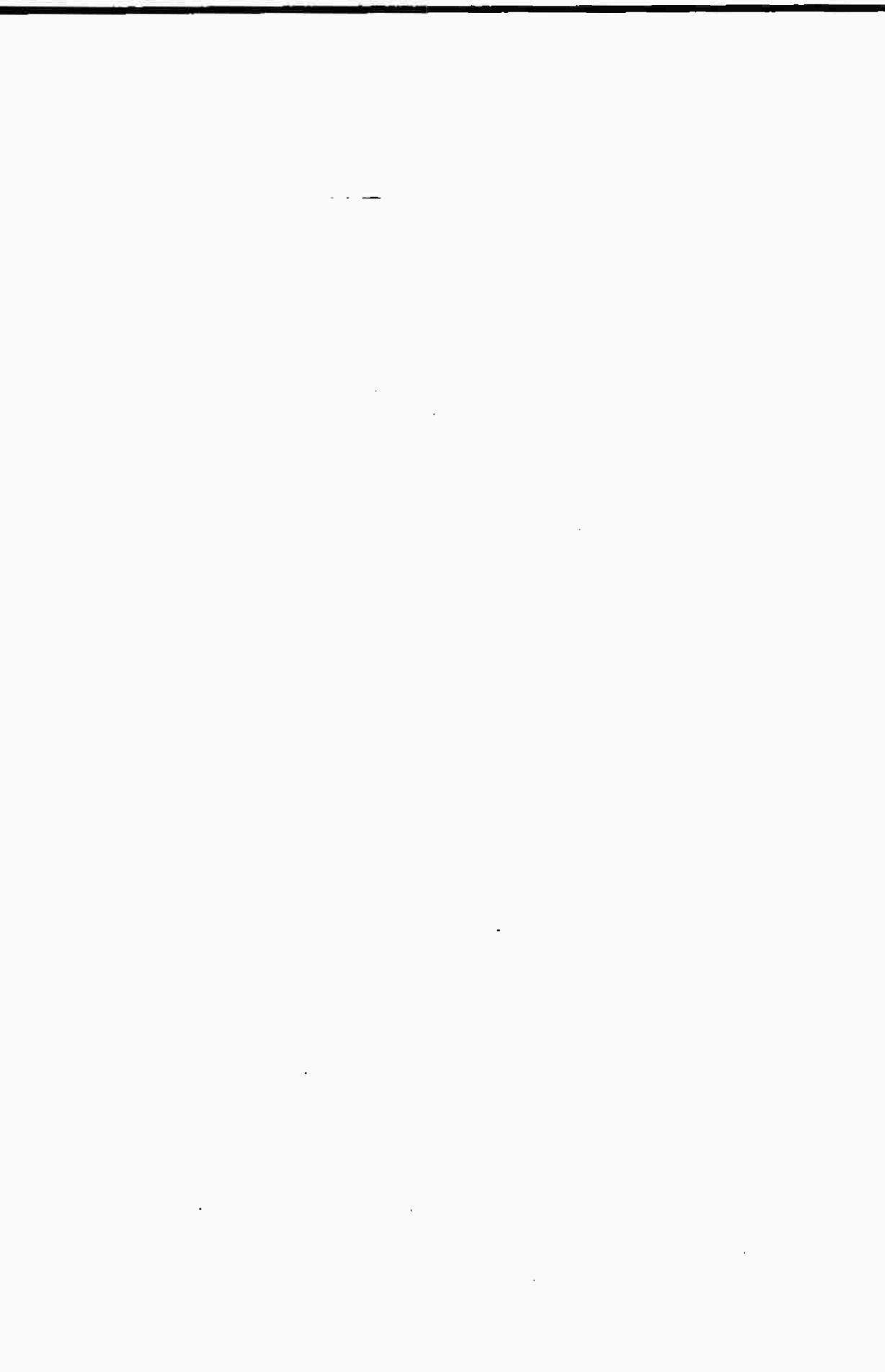
**تأليف**

**الدكتور : سعيد بن سعد سفر الغامدي  
الاستاذ المشارك في التاريخ الحديث والمعاصر  
كلية العلوم الإجتماعية بالرياض  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**



# الاحتلال الفرنسي للجزائر وموقف الدولة العثمانية منه " قراءة جديدة "

- ☆ أسباب الحملة الفرنسية على الجزائر.
- ☆ الإحتلال الفرنسي للجزائر.
- ☆ عبد القادر الجزائري.
- ☆ إحتلال قسنطينة.
- ☆ تجدد القتال بين فرنسا والأمير عبد القادر.
- ☆ جهاد الأمير عبد القادر ثم إستسلامه.
- ☆ موقف الدولة العثمانية من الإحتلال الفرنسي للجزائر.



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا  
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد :

بذلت الدول الأوروبية النصرانية جهوداً مضمّنية لإحتلال العالم الإسلامي  
وضرب الإسلام والمسلمين، ولكن تحطمت معاولهم على صخرة الإسلام والمسلمين  
أيام الحروب الصليبية التي خرجوا منها يجرّون أذيال الخيبة والخسران والعار.

ولكن مازالت روح الحقد الصليبي تسيطر عليهم - حتى يومنا هذا - فأخذوا في  
إقتطاع البلاد الإسلامية بلداً تلو الآخر بهدف محو هويتهم الإسلامية وتنصيرهم.

ومن أشرس الحملات الصليبية التي تعرضت لها البلاد العربية والإسلامية  
الحملة على (الجزائر). فقد أراد الفرنسيون تعويض ما خسروه في حملتهم الفاشلة على  
مصر. لكن ضمود الشعب الجزائري وكفاحه حال دون ذلك، وعجزت فرنسا بكل ما تملك  
من قوة عسكرية وأموال طائلة في إخماد ثورة الجزائر الأهلية الإسلامية.

وقد كتب الكثير من المؤرخين المؤلفات العديدة عن جهاد أهل الجزائر وفي  
مقدمتهم الأمير عبد القادر الجزائري حتى أعجزوا الحكومة الفرنسية.

ولكن لاحظت تحامل الكثير من المؤرخين على الدولة العثمانية واتهموها  
بالتنصير في مسألة الجزائر، وقد تناسي أولئك للكتاب إلى حالة الضعف التي وصلت إليها  
الدولة، والمشكلات الداخلية والخارجية التي أشغلتها وأضنت مضجعها.

وقد اشار قلة قليلة من المؤرخين إلى التظاهر العسكري الذي قامت به الدولة  
العثمانية ضد الإحتلال الفرنسي والذي انتهى بالفشل الذريع. وقد يكون لمثل هؤلاء  
المؤرخين العذر في عدم دراسة الموضوع دراسة كاملة تغطي معظم جوانب  
الموضوع لغياب الوثائق العثمانية وصعوبة الحصول عليها.

وفي أثناء بحثي في الإرشيف العثماني عثرت على وثائق توضح الجهد السياسي والدبلوماسي الكبير الذي بذلته الدولة العثمانية من أجل حل مشكلة الجزائر. ولم ألاحظ - على حد علمي - ذكراً لهذا في المؤلفات التاريخية.

لهذا أثرت إبراز هذا الجهد السياسي الذي بذلته الدولة العثمانية، وغاب عن ذهن الكثير من المؤرخين. وهذا هو الجديد الذي حاولت التطرق له في هذا البحث المتواضع.

**والله الموفق.**

## أسباب الحملة الفرنسية على الجزائر :

دخلت الجزائر في الحكم العثماني سنة ٩٢٥هـ/١٥١٩م، وتعتبر أول إقليم من أقاليم شمال إفريقيا - بعد مصر - يدخل تحت السيادة العثمانية<sup>(١)</sup>. وكانت الجزائر منذ ذلك التاريخ تعتبر معقل الإسلام في قارة إفريقيا، كما كانت فرنسا في المقابل آنذاك معقل النصرانية في أوروبا، ولم تأتِ الحملة الفرنسية أو (الاستعمار الفرنسي) للجزائر إلا بعد تخطيط دقيق من قبل الفرنسيين ودراسة لمصالحهم الخاصة. وهناك مجموعة من الأسباب تعللت بها فرنسا لاحتلال الجزائر منها :

- فقدت فرنسا الكثير من مستعمراتها أثناء حروب نابليون في أوروبا، وكانت تريد إعادة مجد إمبراطوريتها القديم مرة ثالثة. فرأت إستعمار الجزائر لتكون مفتاح دخولها إلى دول أخرى. ولم يكن هناك معارضة من الدول الأوروبية لتلك السياسة الفرنسية، بل ربما وجدت التشجيع والتأييد لكي تصرف فرنسا عن المطالبة بالأقاليم التي فقدتها في أوروبا<sup>(٢)</sup>.

. . . ومن أسباب الحملة الفرنسية على الجزائر إدعاء فرنسا أن البحارة المسلمين يقومون بالإعتداء على السفن الفرنسية في البحر المتوسط وأنها تريد منعهم من مزاولته ذلك النشاط الذي يخل بالأمن<sup>(٣)</sup>.

- وهناك سبب إقتصادي. وهو أن فرنسا مرت بضائقة مالية شديدة أثناء حروبها، ولم تجد من يساعدها أو يقدم لها المعونة من الدول الأوروبية. وقامت للجزائر ببيع كميات كبيرة من القمح لها. وكانت على شكل دين مؤجل. وقد تراكمت هذه الديون على فرنسا وأصبحت عجزاً عن سدائها، فأضطرت للجزائر إلى إستعمال القوة لكي تحصل مالها من ديون على فرنسا، ولكن الأخيرة أمتعت من دفع الديون لتتي عليها للجزائر مدعية حيناً أن القمح غير صالح، وأن أثمانه التي قدر الدين على أسسها مبالغ فيها، وكانت تلك الديون تصل إلى ثمانية عشر مليوناً من الفرنكات، ورغم هذا فقد خفضت الجزائر تلك الديون إلى سبعة ملايين فرنك. فعادت فرنسا إلى الإدعاء بأن السلطات الفرنسية لم تتسلم تلك البضائع،

واصمت آذانها عن المطالبة بتسديد ذلك الدين<sup>(٤)</sup>.

- كذلك فإن رغبة كبار التجار والملأك الفرنسيين في الإستيلاء على أراضي جديدة تُدر لهم أرباحاً طائلة ليعوضوا ما خسروا من أملاك قد دفع بالحكومة الفرنسية إلى التعجيل بأمر إحتلالها للجزائر<sup>(٥)</sup>.

- ومن الأسباب التي دعت فرنسا لغزو الجزائر رغبة شارل العاشر في أن يشغل الشعب الفرنسي عن المشاكل الداخلية في فرنسا، ويجعلهم يهتمون بالحروب الخارجية، وكذلك يريد أن يشغل أولئك السكان العاطلين عن العمل في تلك الحروب، ويوجد لهم أرضاً جديدة يستنفذون فيها طاقاتهم المعطلة، كما أراد شارل العاشر إرضاء الكنيسة الفرنسية بأنه سوف يعمل على نشر النصرانية، ويقضي على الإسلام والمسلمين في دولة إسلامية كبيرة وهي الجزائر<sup>(٦)</sup>.

- وهناك سبب آخر أدى إلى الغزو الفرنسي للجزائر يذكره كثير من الكتاب والمؤرخين ويعتبرونه الشرارة التي أشعلت نار الحرب بين الدولتين. وهو : أن قنصل فرنسا في الجزائر ذهب إلى الداوي - حاكم الجزائر - لتهنئته بمناسبة عيد الفطر لسنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م فسأله الداوي عن السبب الذي جعل ملك فرنسا لا يرد على رسالته التي بعث بها إليه منذ مدة، فكان رد القنصل جافاً غليظاً مفاده أن الملك أرفع من أن يرد على رسالة الداوي، فغضب الأخير ونهر القنصل وأشار إليه بيده أن يخرج من أمام وجهه. وقيل أن مروحة كانت بيد الداوي لمست وجه القنصل. فذهب الأخير إلى الملك وأخبره بما حدث، وزاد على ذلك بأن الداوي صفعه على وجهه. فاعتبر الملك أن ذلك العمل إهانة له وللشعب الفرنسي وهدد بالإنتقام<sup>(٧)</sup>.

والحقيقة أن فرنسا كانت تتذرع بأي سبب لإحتلال الجزائر. ومهما قيل من أسباب فإن الحقد الصليبي الدفين في قلوب أعداء الإسلام والمسلمين هو السبب الرئيسي لإحتلال فرنسا للجزائر بعد أن تحطمت معاولهم على صخرة الإسلام أيام الحروب الصليبية في بلاد الشام، وبعد أن فشلوا في إحتلال مصر سنة ١٢١٣هـ/١٢٩٨م وخرجت تجر أنيال الخيبة والخسران أمام التضامن الإسلامي للكبير. وأرادت هنا أن

تكرر حتماً للصليبي باحتلال بلد عربي مسلم. فأضحت الأعداء لواءية لاحتلال الجزائر.

## الإحتلال الفرنسي للجزائر :

صممت فرنسا على إجبار الجزائر على الإعتذار حتى ولو بالقوة، وقرر مجلس الوزراء الفرنسي إرسال القطع البحرية أمام الجزائر للمطالبة بهذا الإعتذار. ووصلت هذه القطع البحرية أمام مدينة الجزائر وطالبت بتحية العلم الفرنسي، لكن الداي رفض ذلك، فعاد الأسطول حاملاً رعايا فرنسا في الجزائر، وعهدت لتفصل سردينيا مهمة الإشراف على المصالح الفرنسية في الجزائر. وقطعت العلاقات دون دفع أي مبلغ للجزائر عن مشترياتها من القمح، وتذرعت بإهانة الداي لتفصلها، واحتفظت لنفسها بحق التدخل حسبما يترأى لها<sup>(٨)</sup>.

قررت الحكومة الفرنسية إحتلال مدينة الجزائر نفسها. ولكن حوادث المورة جعلت الفرنسيين يفضلون البدء في فرض الحصار إلى أن يجلي لهم الموقف الدولي في البحر المتوسط، خصوصاً وأنهم كانوا يرغبون في المحافظة على التحالف الذي وصلوا إليه مع كل من إنجلترا وروسيا، وأن مسألة إنزال الجنود في الجزائر قد تؤثر على هذا التحالف، وعلى موقف كل من إنجلترا وروسيا في مسائل المضائق والبلقان وشرق البحر المتوسط.

بقي الحصار البحري مفروضاً على سواحل الجزائر مدة ثلاث سنوات في الفترة ١٢٤٣-١٢٤٦هـ/١٦ يونيو ١٨٢٧م - ١٤ يونيو ١٨٣٠م، وقد عانت فرنسا خلال فترة الحصار هذه معاناة كبيرة حيث استطاع الجزائريون أسر بعض رجال البحرية الفرنسية وقتلهم، ونظر الداي لعملية الحصار على أنها إعلان حرب رسمي موجه إليه أكثر من كونه منلورة بحرية للضغط عليه إذ أن سفن الفرنسيين كانت تعترض طريق السفن الجزائرية عند مدخل الميناء، مما يتناقى مع أبسط للقواعد والتقاليد الموجودة بين رجال البحرية في حالة السلم، وحاول الأسطول الفرنسي تهديد الداي من وقت لآخر بإرسال أحد الضباط ملحاً في طلب تقديم الإعتذار الرسمي، فلم يكن من الجزائريين - بعد تكرار هذه

المسألة - إلا أن أغرقوا بقنابلهم الزورق الذي حمل آخر ضابط جاء لهذا الغرض<sup>(٩)</sup>.

وأخيراً صممت فرنسا على إرسال حملتها للجزائر خصوصاً وأن "بولينياك" قد وصل إلى الحكم سنة ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م، وكان يرى أن عملية الحصار عملية خاسرة دون أي فائدة، وكان من ناحية أخرى يريد أن يوجه أنظار الشعب إلى الخارج، ويعتقد في أن نصراً خارجياً سيساعده على الوصول إلى نتائج طيبة على مجموع الناخبين، وسيساعده في تقوية الملكية، بأن يتجمع حول العرش كل هؤلاء الذين أتهموها منذ سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م، باتباع سياسة سلبية في العالم.

وقد حاول بولينياك في أواخر سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م إقامة تحالف بينه وبين محمد علي في مصر، وعرض عليه أن يحتل هذه الولاية نظير مساعدة مالية، وضمنان حماية فرنسا لقواته ضد تدخل أي دولة أوروبية. وأن يقوم الأسطول الفرنسي بمعاونته في تلك الحملة، وأن يحصل من السلطان العثماني على إذن للقيام بها، ولكنها لم تنجح لأن محمد علي اعتذر عن ذلك حتى لا يثير الرأي العام الإسلامي، كما أن امتداد سلطة مصر حتى تونس كان أمراً غير مقبول من الباب العالي ومن إنجلترا، بالإضافة إلى ذلك فإن وضع قطع الأسطول الفرنسي تحت سلطة مصر كان مخاطرة واضحة، لذلك فإن بولينياك قد صمم على القيام بهذه العملية لحساب دولته<sup>(١٠)</sup>.

أما إنجلترا فقد رفضت عرض الحكومة الفرنسية بالإشتراك معها في هذه الحملة، ورأى ولنجتون أن في هذا مخاطرة كبيرة قد تؤدي إلى مشاكل دولية. ولذلك فإنه قرر ترك فرنسا تعمل بمفردها<sup>(١١)</sup>.

أصدر الملك أمره بالتعبئة يوم ٧ فبراير، وأعلن عن مهاجمة الجزائر يوم ٢ مارس في خطاب العرش، وتجمعت القوات البرية والبحرية ومعدات الحرب والذخائر والتموين على البر بين طولون ومرسيليا، كما تجمعت السفن للحربية وسفن النقل ومعدات الإنزال أمام طولون. وبلغ مجموع الحملة البرية في آخر أبريل (٣٧,٦٠٠) جندياً و(٤٥٠٠) حصاناً، و(٩١) مدفعاً، وأعطيت قيادة هذه الحملة للجنرال "بورمون"، أما القوات البحرية فكانت تضم (٦٠٠) قطعة بحرية، كانت تشمل

على (١١-١٣) قطع حربية مقسمة إلى ثلاث فرق للعمليات، ولإتزال الجند، وللإحتياطي، علاوة على السفن التجارية المجهزة لنقل الجند والمعدات في شكل قافلة بحرية، وأعطى الملك القيادة البحرية للأميرال "بويريه"، وقام ولي العهد بفتيش القوات البحرية والبحرية في طولون ثم سافرت إلى الجزائر (١٢).

وصلت الحملة في ١٤ يونيو وتزلت في الخليج الغربي من جزيرة سيدي فروج (١٣). واستطاعت إحدى الفرق الفرنسية الثلاث - تحت ستار مدفعية الأسطول - أن تستولي على قطع المتفعية الجزائرية المنصوبة إلى الداخل من شبه الجزيرة. ثم استمر إنزال المدفعية والمعدات في الأيام التالية، وأخذ الجنود يعملون في تحصين شبه الجزيرة ليتخذوها قاعدة عامة لهم (١٤).

وقد حدث ثلاث معارك مهمة في تلك المنطقة. وهي على التوالي : الشتولي ثم سيدي خالد، وقلعة السلطان، ورغم دفاع أهل الجزائر المستميت في هذه المعارك بقيادة إبراهيم آغا نسيب الداوي حسين إلا أنهم أنهزموا في النهاية. وكانوا يعتمدون في حروبهم هذه على أسلوب الكر والفر السريع الخفيف، واعتمدوا على البنادق القديمة والسيوف، بينما اعتمد الفرنسيون على خطوطهم التي تؤيدها نيران المدفعية والأسلحة الحديثة، واستولوا على معسكر الشتولي وسيدي فروج وسيدي خالد.

قرر الفرنسيون أن يستمروا في سيرهم إلى مدينة الجزائر لكي يستولوا على قلعة السلطان، لكن حدثت بعض الظروف الجوية التي حالت دون وصولهم إليها. ولم يستغل الجزائريون تلك الفرصة للإيقاع بهم بل تركوهم حتى أعادوا تنظيم جيوشهم، وقد تولى "الخنزجي" الدفاع عن قلعة السلطان، ومعه (٨٠٠) جندي من الأتراك، و(١٢٠٠) جندي من العرب، إضافة إلى التحصينات القوية للقلعة ومناعة أسوارها. ثم بدأ الفرنسيون في ضرب القلعة بالمدافع، وقد استمات الجزائريون في الدفاع عنها، لكن نيران المدفعية تسببت في إحراق مخزن الذخائر مما سهل على الفرنسيين إحتلالها، ثم تحصنوا فيها وأخذوا ينطلقون منها لضرب الجزائر (١٥).

وقد أراد الداوي حسين أن يقاوم دخول الفرنسيين مدينة الجزائر لكن الوضع

العسكري لم يكن يسمح له بذلك. خصوصاً وأن الأسطول الفرنسي كان يحاصر المدينة من البحر، ومدفعية الجيش مُصوبة على المدينة من قلعة السلطان، فاضطر الداي إلى الإستسلام لقاء معاهدة تعهدت فيها فرنسا بحمايته وترك الخيار له بين البقاء في الجزائر أو الرحيل، كما تعهدت بحماية الدين الإسلامي، وإعطاء الحرية التامة للمسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية وتم التوقيع على المعاهدة ١٣ محرم ١٢٤٦هـ / ٥ يوليو ١٨٣٠ م. لكن فرنسا نقضت هذه المعاهدة قبل أن يجف مدادها<sup>(١٦)</sup>.

وبعد دخول الجيش الفرنسي مدينة الجزائر أذاع القائد بورمون بياناً على أهل الجزائر أفتتحه بـ "بسم الله المبتدئ المعيد وبه تستعين ... " ثم أخذ يعدهم ويمنيهم بالخير إذا هم سلموا للقيادة الفرنسية التي جاءت من أجل تحقيق الخير والسعادة لهم، وتكر بورمون في هذا البيان أنه يحب الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم - وسيضمن لهم الحرية الدينية الكاملة، وسيعاقب كل من يتعرض لهم في أملاكهم وعوائلهم ومساجدهم..<sup>(١٧)</sup>. وهي نفس سياسة نابليون بونابرت حينما احتل مصر، وكما أن هذه السياسة الكاذبة قد أنكشفت للمصريين فقد انكشفت من أول يوم للجزائريين.

بعد دخول الفرنسيين مدينة الجزائر أنقضوا بوحشية على المواطنين، وأشاعوا الرعب، والخوف بين الأهالي، وقاموا بشتى أنواع السلب والنهب والفساد وقتل المواطنين بالجملة، وحرقوا القرى والمزارع بكل وحشية. كما استولوا على الخزانة العلماة التي أبلغوا باريس أنهم قد وجدوا فيها ما قيمته "٤٨,٧٠٠,٠٠٠" فرنك من الذهب، وكان هذا يكفي بطبيعة الحال لتغطية نفقات الحملة التي بلغت "٤٣,٥٠٠,٠٠٠" فرنك، ولكن الجنرالات بدأوا يتهمون بعضهم بعضاً بسرقة مبالغ من أموال الخزانة الجزائرية قبل إعلانها لباريس، وقاموا بإحراق السجلات عمداً حتى لا تتكشف سرقاتهم<sup>(١٨)</sup>.

وكان أول أعمال بورمون بعد إحتلاله لمدينة الجزائر هو نزع سلاح الجنود غير النظاميين، ثم طرد الجيش الإنكشاري العثماني إلى إزمير، واختفى بذلك آخر

مظفر من مظفر الحكيم العثماني في الجزائر. ويعد أن قام الجنود الفرنسيون بقتلاف السجلات، لم يكن من السهل الحصول على بيانات خاصة بملكية الأراضي أو بالدخل العام، وكان ذلك في صالح أصحاب النفوس الضعيفة ممن يتمتعون بالسلطة أو المقربين إليهم، أما الجنود فإنهم بدؤوا يعيشون بين أفراد شعب لا يعرفونه ولا يستطيعون التفاهم معه، مما ساعد على إنتشار الفساد والسلب والنهب وجعل مدينة الجزائر في حالة يرثى لها<sup>(١٩)</sup>.

ولم يكن بورمون يعرف حقيقة الوضع في الجزائر، واعتقد أن إحتلال مدينة الجزائر سيجعله يسيطر على كل البلاد في مدة أسبوعين وبدون مقاومة.

قام بورمون بإرسال حملة لإحتلال المرسي الكبير ووهران، وأرسل حملة أخرى استولت على عنابة الميناء البحري القسنطينية، واعتقد بأن هذا الإحتلال سيجبر قسنطينة على التسليم، ولكنه أخطأ في تقديره، إذ أن الأهالي في الداخل كانوا مصممين على مقاومة الإحتلال الفرنسي. وشعرت السلطات الفرنسية أخيراً بأن عليها مهاجمة جميع مدن الجزائر الواحدة تلو الأخرى، فأرسل بورمون حملة إلى "بليدا" التي تقع عند سفح جبل أطلس على بعد ٤٨ كيلو متراً جنوب مدينة الجزائر، وفي إقليم يسكنه رجال القبائل ليثبت لأهالي الجزائر قوة الجيش الفرنسي وقدرته على السيطرة على كامل البلاد، ولكن رجال القبائل هاجموا عند عودته، وأزولوا به خسائر فادحة، وكشفت هذه الهزيمة مع ما تلاها من هزائم عن أن الفرنسيين ليسوا سادة الموقف، وأن تحطيمهم للحكم العثماني في الجزائر لن يسهل عليهم السيطرة على الولاية<sup>(٢٠)</sup>.

أما باي قسنطينة فرفض التسليم، واستمر هو وشعبه في الجهاد الإسلامي، واستطاع أن يقاوم الفرنسيين سبع سنوات تجلت فيها بطولة الجزائريين، وألحقوا بالعديد خسائر كبيرة واستطاعوا طرد الفرنسيين من عنابة، وهجم الفرنسيون على قسنطينة في سنة ١٢٥٢ هـ / نوفمبر ١٨٢٦ م لكن الجزائريين هزمواهم شر هزيمة، وكان لهذه الموقعة صداها الصوي في فرنسا وأوروبا.

رأى بعض أهل الحل والعقد إزاء ما لمستوه من فساد الأحوال وتفرق كلمة للمسلمين وانقسامهم شيعاً إلى بربر وعرب وقبائل متباينة، ذلك الانقسام الذي يرجع إلى عهود الدايات، والذي أستغلته الحكومة الفرنسية لتستعين به في التغلب على البلاد وإضعاف مقاومتها. رأوا أن يختاروا أميراً تجتمع فيه صفات الإمارة، فكان أن توجهوا إلى رجل من العلماء والأشراف لكنه أعتذر عن الإمارة ولم يتخلف عن الجهاد، وظل يقود للمجاهدين إلى وهران يقاتل الفرنسيين ويرجع قي غارات متعددة، وحاول قادة المسلمين أن يلجأوا إلى سلطان المغرب ليولي عليهم من يتزعمهم في الجهاد، فرحّب بهم وولى ابن عمه عليهم وهو علي بن سليمان، فتوجه إلى الجزائر وبدأ يتنظم الأمور ويعد العدة للجهاد. فعلمت فرنسا بذلك، وهنّدت سلطان المغرب. فسحب ابن عمه قبل أن يمضي في مهمته أكثر من ستة أشهر، وتأكدت من جديد زعامة السيد محي الدين الحسني أحد زعماء الأشراف، وظل يجاهد سنتين ثم تخلى عن القيادة سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٢٢ م لابنه البطل الأمير عبد القادر الذي لقب نفسه بالجزائري، لتكون ثورته تمثل الجزائر كلها، ولمصلحة الشعب الجزائري كله. والتف حول الأمير عبد القادر آلاف من الشبان، وأبنته القبائل تأييداً تاماً حتى بلغ عدد جيشه (٨٠٠٠) من المشاة، و(٢٠٠٠) فارس (٢٢).

وتعتبر مبايعة الأمير عبد القادر بداية لحكومة جزائرية صالحة، فقد تحلّى هذا الأمير بمزايا خلقية وعقلية كبيرة فضلاً عن أنه كان من صميم الشعب الجزائري، فمحنة الغزو الفرنسي تمخضت عن إختيار هذا الأمير الذي تجلّت عبقريته في التنظيمات المختلفة التي أدخلها إلى البلاد، فهناك التنظيمات التي أدخلها في الجيش والتي قسمته إلى مشاة وخيالة ومدفعية، كما عينت رتب الجند ولباسهم، وحددت رواتبهم ومسؤولياتهم وواجباتهم، وبعبارة موجزة يمكننا القول أنه وضع أساساً متيناً لجيش وطني نظامي (٢٣).

وامتدت إصلاحاته الواسعة إلى تنظيم القضاء. فكان هناك منصب قاضي  
القضاة الذي يشرف على إدارة القضاء في البلاد، وبطبيعة الحال كان المذهب  
المطبق هو المذهب المالكي المنتشر في المغرب العربي. واهتم إهتماماً كبيراً  
بالتقافة، وشجع طلاب العلم والعلماء، وعمل على جمع الكتب من كل مكان استطاع  
أن يجدها فيه، كما كان الأمير مهتماً بالدعوة إلى التمسك بالدين الإسلامي  
الحنيف<sup>(٢٤)</sup>.

كما أنشأ مجلساً للشورى يتم إختيار أعضائه بالإنتخاب لمعاونته في حكم  
البلاد، كما أخذ لنفسه لقب " أمير المؤمنين " أو " خليفة سلطان المغرب "<sup>(٢٥)</sup>.

وظل الأمير عبد القادر يجاهد الفرنسيين ويشن عليهم الغارة تلو الغارة  
محاولاً إخراجهم من وهران ومستغانم، لكن الفرنسيين كانوا قد أعدوا دفاعاً قوياً  
لهاتين المدينتين، وبنوا خارجها الحصون فاستعصى عليه فتحهما، واضطر في آخر  
الأمر إلى عقد معاهدة يحاول بها أن يضمن عدم توسعهم من الساحل إلى داخل  
البلاد، واعترف لهم في هذه المعاهدة بسلطانهم على وهران ومستغانم وتم التوقيع  
على هذه المعاهدة ١٧ شوال ١٢٤٩هـ/ ٢٨ فبراير ١٨٣٤م<sup>(٢٦)</sup>.

لكن الفرنسيين لم يلتزموا بنصوص هذه المعاهدة وشنوا غارة على تلمسان،  
فأدى ذلك إلى نشوب الحرب من جديد بين فرنسا والأمير عبد القادر وأدت هذه  
الحرب إلى توقيع معاهدة جديدة هي معاهدة " تافنا " وتعين هذه المعاهدة مواقع  
إحتلال فرنسا وهي مدن الجزائر، وهران، والبليدة، والقلبية مع المساحات التابعة  
لهذه المدن، وتعترف للأمير بولايته على سائر أجزاء الجزائر، مع ما تبقى من  
ولاية وهران والجزائر وتلمسان على أن يخرج منها الفرنسيون ما عدا قسنطينية  
التي كان يحكمها أحمد باي وغير ذلك من عهود. وقد تم التوقيع على هذه الإتفاقية  
٦ ربيع الأول ١٢٥٤هـ/ أول يونيو ١٨٣٨م بين الأمير عبد القادر، والقائد الفرنسي  
الجنرال " بيجو "<sup>(٢٧)</sup>.

## إحتلال قسنطينة :

عملت فرنسا على المفاوضات مع الأمير عبد القادر في الغرب، ومع أحمد باشا في الشرق، وانتهت المفاوضات الأولى إلى عقد معاهدة تافنا، أما المفاوضات الثانية فإن فرنسا قد عرضت فيها الاحتفاظ بمدينتي عنابة وكالو مع ضواحيهما. والإعتراف بسيادتها على كل المنطقة، وأن يدفع لها أحمد باشا ضريبة سنوية كرمز للتبعية، فرفض أحمد باشا هذه الشروط، وكان يأمل في أن تساعد الدولة العثمانية<sup>(٢٨)</sup> كما سيأتي فيما بعد إن شاء الله.

وجهت فرنسا إنذاراً إلى أحمد باشا، وبدأت القوات الفرنسية تزحف صوب قسنطينة، وكانت تتكون من (١٢,٠٠٠) جندي، مزودة بست عشرة قطعة ميدان، وسبع عشرة مدفعية حصار، ووصلت هذه الحملة إلى أسوار قسنطينة أول أكتوبر سنة ١٨٣٧م، ولم يحاول مجاهدون قسنطينة الإشتباك مع الفرنسيين قبل وصولهم، بل صمموا على الدفاع عن مدينتهم من داخلها، وتولى أحمد باشا قيادة الفرسان التي عملت على مناوشة الأعداء<sup>(٢٩)</sup>.

أرسل الجنرال دامريمون القائد العام إنذاراً طالباً التسليم، ولكن الأهالي رفضوه، وفي اليوم التالي قتل هذا الجنرال أثناء تفقده المدفعية بصحبة دوق نامور ابن ملك فرنسا، كما قتل رئيس أركان حرب الحملة، فتولى القيادة الجنرال قالي. وأمر بالاستعداد للهجوم في اليوم التالي، وهجم الفرنسيون على قسنطينة في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٧م بثلاثة طوابير أفتحمت الفتحات التي أحدثتها المدفعية في أسوار المدينة، ولكن الشوارع كانت مملوءة بالمتاريس وكان الأهالي يطلقون النيران من النوافذ الصغيرة على الجنود الفرنسيين أثناء تقدمهم في الشوارع الضيقة، ولكن تقدم الفرنسيين استمر رغم الخسائر الفادحة التي تكبدوها. ثم أشتعلت النيران في مخازن البارود مما تسبب في نسفها، واستمر الإلتحام في الشوارع وفي المنازل بشكل مجزرة عامة بين الطرفين إلى أن احتلت قوات الفرنسيين فشلاق الإنكشارية والقصبة فتوقفت المقاومة<sup>(٣٠)</sup>.

وتعتبر معركة قسنطينة أول معركة حاسمة اشتركت فيها القوات الفرنسية منذ عهد نابليون. وأبقت الحكومة الفرنسية على ثلثة آلاف جندي فرنسي في تلك المدينة. وما إن عاد الجنرال فالي إلى عنابة حتى وجد أمر تعيينه حاكماً عاماً للجزائر بالنيابة، وكانت فرنسا قد رأت فيه قائداً متصراً على العكس من بيجو الذي وقع معاهدة تافنا مع الأمير عبد القادر. ولكن الجنرال فالي رفض هذا التعيين، وطلب إعادته إلى فرنسا، فلم يكن أمام حكومة باريس إلا أن ترضيه حتى تستغل انتصاره ولسعه في شمال إفريقيا. فعينت حاكماً عاماً، وأُعمد عليه برتبة المارشال<sup>(٢١)</sup>.

وبدأت فرنسا في استغلال انتصارها إلى آخر درجة ممكنة لصالح تجارتها ونمو مستعمراتها، كما أنه وجد من شيوخ الأهالي من يرغب في التعاون معها ويسهل عليها أمر الإبقاء على إحتلال قسنطينة.

وتعتبر القرارات الصادرة عام ١٢٥٤هـ / ١٨٢٨م هي الأسس الأولى لتنظيم مقاطعة قسنطينة، وقد تركت أثراً كبيراً في تاريخ الجزائر لأنها كانت البداية للعلاقات بين السلطة الفرنسية والأسر الإقطاعية هناك، وقد قسمت المقاطعة إلى إدارتين. إحداهما خاصة بعنابة، والثانية خاصة بقسنطينة. وكانت إدارة الأولى تنقسم إلى دوائر تخضع كل منها لقائد فرنسي يجمع في يديه السلطات العسكرية والمدنية والقضائية، أما بقية المقاطعة فكانت متروكة لسلطة الرؤساء الإقطاعيين من الأهالي الذي قبلوا التعاون مع الفرنسيين. وكانوا يخضعون للقائد العام الفرنسي، وكانوا يجتمعون تحت رئاسته في مجلس إداري، وكان عليهم جمع الضرائب من الأهالي والإحتفاظ بجزء منها كمرتب لهم. وكان لهم الحق في الإحتفاظ بقوات محلية خاضعة لهم كحرس غير نظامي يساعدهم في فرض نفوذهم على الأهالي. وكان لهم حق تعيين الشيوخ، وترشيح القادة الذين سيعملون تحت إدارتهم، على شرط موافقة الحاكم الفرنسي على ذلك. وكان هؤلاء الرؤساء يعتبرون رؤساء إقطاعيين أكثر من كونهم موظفين نظاميين، فكان الفرنسيون يعاملونهم على أنهم وكلاء للقائد العام في المقاطعة، وعلى أنهم في مرتبة أمير الألاي في الجيش الفرنسي. وذلك إستمراراً للعمل على النظام العثماني الذي كان

يعتبرهم في مرتبة القائم مقام للواء قسنطينة<sup>(٣٢)</sup>.

وكان الجنرال فالي مضطراً في حقيقة الأمر إلى إنتهاج هذا النوع من السياسة لأن حكومة فرنسا كانت ترغب في تحديد المنطقة المحتلة في الجزائر، ولم تكن توافق على الميزانيات التي لا تسمح بالتوسع في الداخل. فكان على فالي أن يجد حلاً عملياً وقليل التكاليف.

وأخيراً فإن إحتلال فرنسا لقسنطينة وسيطرتها غير المباشرة على تلك المقاطعة قد سمح لها بالتفرغ من جديد للأمير عبد القادر الجزائري في غرب الجزائر، بعد أن ضمننت إنقسام الجزائر إلى قسمين، وضمننت صعوبة إرسال الإمدادات والمعونات العسكرية من الشرق إلى المجاهدين في غرب الجزائر.

### **تجدد القتال بين فرنسا والأمير عبد القادر:**

بدأت المشكلات بين فرنسا والأمير عبد القادر بمجرد إحتلال مدينة قسنطينة. وقد بعث الأمير عبد القادر عدة خطابات إلى لوى فيليب، وإلى رئيس الوزراء ووزير الحربية في باريس، معلناً رغبته في المحافظة على السلم، على أساس الإحتفاظ بالمعاهدات الدولية، ولكنه لم يستلم أي رد على مراسلاته. فما كان من الأمير إلا أن احتل المناطق المتنازع عليها في مقاطعة تتيوي، ثم احتل وادي الزيتون، وعاقب الأهالي الذين تعاونوا مع الفرنسيين، ولقد خشي الماريشال من سياسة عبد القادر التي كانت ترمي إلى توحيد كل المناطق الجزائرية ومحاصرة الفرنسيين في الساحل. فانتهاز فرصة حضور الدوق دوليان إلى الجزائر في سنة ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م ونظم حملة صحبت ولي العهد من فيليب فيل إلى قسنطينة ومنها إلى الجزائر ماراً ببعض المناطق الخاضعة لحكم عبد القادر<sup>(٣٣)</sup>.

كتب الأمير عبد القادر إلى الماريشال فالي معلماً إياه أنه يعتبر الحملة التي سارت من فيليب فيل إلى قسنطينة ومنها إلى الجزائر نقضاً صريحاً لمعاهدة تافنا، ونصحها بإتخاذ احتياطاته اللازمة للحرب. من منع للمسافرين وسحب لمواقعهم

المنعزلة، إذ أن الحرب قائمة، وكان عبد القادر قد تأكد من سياسة الفرنسيين الترامية إلى الاستيلاء على الجزائر بالتدريج<sup>(٢٤)</sup>.

قام الأمير عبد القادر بالهجوم على إقليم متيجة، وعمل المجاهدون على إحراق أكواخ المستعمرين وتخريبها واستولى على ماشيتهم، واحتلوا كل الأقليم مما نشر الذعر في قلوب الفرنسيين في مدينة الجزائر، وطلب فالي من حكومته في باريس إرسال المزيد من الإمدادات، فسارعت الحكومة بإرسال (١٢,٠٠٠) جندي، ثم زادت قواته بعد أشهر قليلة إلى (٦٠,٠٠٠) جندي، ولكنه عجز عن إستعادة الأقاليم التي استولى عليها الأمير عبد القادر الجزائري<sup>(٢٥)</sup>.

في تلك الفترة كان تيير قد استلم مقاليد الحكم كرئيس للوزراء في فرنسا منذ سنة ١٢٥٦هـ/مارس سنة ١٨٤٠م، وكانت فرنسا تجتاز لخطر فترة صافقتها ملكية يوليو، نظراً لفتح باب المسألة الشرقية بسبب العلاقات بين محمد علي والسلطان العثماني، وموقف كل من إنجلترا وروسيا في هذه المسألة، وكان العالم على أبواب حرب عالمية، وكان موقف فرنسا متأثراً بذلك كل التأثر، ولقد حاول أعداء الإستعمار من الفرنسيين إنتهاز الفرصة لمحاولة إجبار حكومتهم على إخلاء الجزائر، ولكن أنصار الإستعمار كانوا أشد قوة، ولقد نادى الجنرال بيجو بتغيير نظام الحاميات المنعزلة والإعتماد على قوات سهلة الحركة في السيطرة على الجزائر، أما تيير فإنه صرح بأن الضرورة تحتم عليه إعلان الحرب على الأمير عبد القادر والتوغل في كل البلاد وإحتلالها إحتلالاً تاماً، بطريقة تسمح لفرنسا بالإحتفاظ بمواقعها في جنوب البحر المتوسط<sup>(٢٦)</sup>.

وظهر جلياً أن المارشال فالي ليس هو الرجل الذي يستطيع تنفيذ سياسة فرنسا في الجزائر، فقررت فرنسا تغييره، وعينت بيجو حاكماً عاماً على الجزائر ويعتبر هذا القرار في غاية الأهمية، إذ أنه كان الحد الفاصل بين سياسة الإحتلال الجزئي والإحتلال الكلي للقطر الجزائري.

وصول بيجو إلى مدينة الجزائر سنة ١٢٥٧هـ / ٢٣ فبراير سنة ١٨٤١م، وظل محافظاً على منصبه، كحاكم عام حتى عام ١٢٦٤هـ / ٢١ سبتمبر ١٨٤٧م، مما سمح بالإستقرار في القيادة الفرنسية، كما أيدته وزارة جيزو التي وصلت للحكم في نهاية سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م، وظلت هذه الوزارة تحكم فرنسا حتى عام ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م، مما ساعد بيجو على الإستناد إلى حكومة تؤيده على طوال الخط، طوال حربه مع الأمير عبد القادر، وقد أعطته هذه الحكومة كل ما طلبه من إمدادات فأزداد عدد قواته من (٦٢,٠٠٠) في عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م إلى (٨٢,٠٠٠) في عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م، ثم إلى (٩٠,٠٠٠) في عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م، ثم إلى (١٠٨,٠٠٠) في عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م، وكان هذا العدد الأخير هو ثلث القوات الفرنسية في ذلك الوقت (٣٧).

كما طلب بيجو من الحكومة الفرنسية أن تضع تحت تصرفه مائة ألف جندي ومائة وخمسين مليون فرنك، ثمانون منها للقوات المحاربة، وسبعون للإستعمار. وذلك لمدة ست سنوات حتى يستطيع إقامة حكم فرنسي مستقر في الجزائر (٣٨).

أما الأمير عبد القادر الجزائري فإنه كان سيداً على كل ولاية وهران، ومعظم ولاية الجزائر، وله أعوان في القبائل وولاية قسنطينة، وكانت خزائنه الحربية تحتوي على ما قيمته مليون ونصف المليون فرنك من الذهب، وكان جيشه النظامي يتألف من (٨,٠٠٠) من المشاة، وألفين من الفرسان، و(٢٤٠) من رجال المدفعية، وعشرين قطعة مدفعية في حالة جيدة، وكانت القبائل ترسل إليه المتطوعين والمجاهدين في زمن الحرب مما جعله يسيطر على قوة غير نظامية تتكون من (٥٠,٠٠٠) مجاهد، ولكن قواته الأساسية كانت تقوم على جيشه النظامي قبل كل شيء، وعلى الإنفاق الشعب حوله في نضاله ضد الفرنسيين، وكان الأمير يعرف أن لفرنسا قوة كبيرة ومجهزة بأحدث الأسلحة والمعدات، ولكنه كان يثق بالله أولاً ثم في قوة شعبه، ولقد اعتمد عبدالقادر على حرب العصابات وعلى الكر والفر السريع لإنهالك الفرنسيين ومفاجأتهم

وسلب أسلحتهم ومعداتهم، وكان يهاجم الفرنسيين بسرعة وفي جهات مختلفة، ويستدرجهم إلى الجبال أو إلى الصحاري، ويقطع خطوط مواصلاتهم، وخطوط رجوعهم، وينهكهم بالسير والرجوع، وكل ذلك نون أن يمكنهم من الإلتحام مع قواته في معركة فاصلة ثابتة الخطوط، وكان يعمل على القضاء على جزء فجزء من القوات الفرنسية. ولقد طبق هذا التكتيك بنجاح لمدة سبع سنوات، وكان يأمل في أن يساعده الزمن والمناخ بعد الله على القضاء على اللياليين من الفرنسيين، أو يضطرهم إلى الإلتحاف إلى الساحل أو إلى بلادهم الأصلية، خصوصاً وأن حالة الفرنسيين منذ وصولهم مدينة الجزائر من إحدى عشرة سنة مضت كانت تقوى عنده ذلك الأمل<sup>(٣٩)</sup>.

وكانت خطة بيجو تتلخص في إحتلال المواقع التي حصنها عبد القادر، وفي إمتباحة القبائل التي خضعت له، وإجبارها مادياً على التخلي عن ولايتها، واتخذت حملة ربيع سنة ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م مدينة المعسكر عاصمة عبد القادر هدفاً لها، وأرسل بيجو المؤن والذخائر إلى ميديا وملينا واتخذها قاعدتين أماميتين له، ثم هاجم عاصمة عبد القادر القديمة، وهدمها، ثم واصل للزحف على مدينة المعسكر. وقد رأت القبائل الموالية لعبد القادر أن الفرنسيين يحرقون محاصيلها، ويستولون على مواشيها وأغنامها، وعمل الفرنسيون في بعض الجهات على حصد القمح والشعير الذي زرعه الأهالي وصادروه، وخرج بيجو على رأس قوات كبيرة وعمل على تخريب الإقليم الذي ولد فيه عبد القادر، وهدم الزاوية التي تعظم فيها، ولم يذق الجنود طعم الراحة لمدة شهرين، وبليت لحنيتهم فساروا حفاة الأقدام، تاركين وراءهم للخراب والدمار، وثبتوا أنهم يطلبون الخضوع التام، أو إجبار الأهالي على الجوع، أو إستلام البلاد بغير مكافأة<sup>(٤٠)</sup>.

حاول بيجو في عام ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م الإشتباك مع القوات النظامية للأمير، فهاجم تلمسان وأعاد إحتلالها، وأرسل طوابير إلى مناطق ندرومة والمعسكر ومستغانم، وقد استطاع أن يقيم المواصلات البرية لأول مرة بين ولاية الجزائر وولاية وهران عن طريق وادي الشليف، إلا أن قوات عبد القادر هاجمت أحد الطوابير الفرنسية الذاهبة إلى بلیدا وقضت عليها فما كان من الفرنسيين إلا أن استباحوا القبائل المحيطة

بمتيحله وخرج طليبر قرتسي من مدينا بقليلة للقوق نورمال، إين ملك قرتسا، واتجه جتورياً يباحثاً عن قاعدة الأمير عبد القادر، وكانت هذه القاعدة عبارة عن مدينة كبيرة من اللخيام يعيش فيها أهله وعشيرته، وأسر للمجاهدين للتظلميين، وقد علم أن قاعدة الأمير تقع عند منبع "الطنجين" فهاجمها بالفرسان وأخذ ثلاثة آلاف أسير مع كمية كبيرة من الغنائم. فاقع الملك برتبة للفريق على إينه، وأرسل بعضا المارنشالية البيجو في سنة ١٢٥٩هـ / آخر يوليو ١٨٤٣م، كما نجح الفرنسيون في قتل مبارك، قائد الجزائريين الشهير والساعد الأيمن للأمير عبد القادر وذلك في المعركة التي وقعت عند سيدي يحيى سنة ١٢٥٩هـ / ١١ نوفمبر ١٨٤٣م، وكانت هذه الضربة أقوى عند الأمير من فقدته لقاعدته، واضطر بعدها للإلتجاء إلى المغرب، خصوصاً وأن القمح والذخائر كانت تنقصه لمواصلة جهاده ضد الفرنسيين<sup>(٤١)</sup>.

كان إلتجاء عبد القادر إلى المغرب أمراً يثير المشكلات أمام فرنسا، ويهددها بقيام حركة تحررية كبرى في شمال إفريقيا تقذف بقواتها إلى البحر، وكانت فرنسا تعرف أن المولى عبد الرحمن سلطان المغرب يؤيد الأمير عبد القادر ويعطيه الإمدادات اللازمة، ولكنها كانت تعرف كذلك أن السلطان يخشى إزدياد نفوذ الأمير في المغرب، وسارت القوات الفرنسية غرباً مدعية البحث عن قوات عبد القادر ووصلت إلى "لامغنية" وأقامت هناك نقاطاً عسكرية، ولكن هذا الموقع كان داخل الإمبراطورية الشريفة مما أضطر السلطان تحت ضغط الرأي العام، إلى إرسال قوة عسكرية إلى جوار وجده بقيادة القائد القناوى<sup>(٤٢)</sup>.

ويعتبر زحف القوات الفرنسية حتى للامغنية تحريشاً سافراً بالمغرب وعملاً لا يقصد من ورائه إلا البحث عن المشكلات، ووقع إشتباك بين المغاربة والفرنسيين سنة ١٢٦٠هـ / ٣٠ مايو ١٨٤٤م بالقرب من سيدي عزيز في الشرق الغربي لمغنية. ولم ينجح المؤتمر الذي عقد بين ممثلي الطرفين يوم ١٥ يونيو على ضفاف نهر المولوية في الوصول إلى نتيجة، فصمم بيجو على الزحف على وجده وإحتلالها للضغط على سلطان المغرب وإجباره على تسليم الأمير عبد القادر أو طرده من

المغرب كما طلبت فرنسا عن طريق سفيرها في لندن أن يشرح للوزارة البريطانية ويؤكد لها أن هدف فرنسا هو ألا يصبح المغرب ملجأ وملذاً لعبد القادر، يتزود فيه بالقوات لكي يوالي الحرب ضدها. وقد هاجم الرأي الإنجليزي سياسة فرنسا وخشي أن تتدخل في المغرب بنفس الشكل الذي تدخلت به في الجزائر، مما اضطر جيزو أن يعلن صراحة بأنه لا يهدف إلى إحتلال أي جزء من الأراضي المغربية<sup>(٤٣)</sup>.

وتجدد القتال بين المغاربة والفرنسيين، وكانت القوات المغربية بقيادة سيدي محمد بن السلطان تشمل على (٦,٠٠٠) من الفرسان النظاميين و(١,٢٠٠) من المشاة، وعدد كبير من الفرسان المتطوعين يصل عددهم إلى ٤٠ أو ٥٠ ألف مجاهد أما القوات الفرنسية فكانت تحت إمرة بيجو، وكانت تتكون من ١٨ كتيبة مشاة و١٩ آلي من الفرسان. أي ما يبلغ (١١,٩٠٠) جندي، و١٦ مدفع، وكان الجيش الفرنسي يمتاز على الجيش المغربي بحسن النظام وبعداثة الأسلحة، وبكمية النيران، علاوة على التكتيك، ما يقلل من أهمية العدد عند المغاربة، وانتهت المعركة بتقهقر قوات المغرب، وقد سهل عليهم ذلك الانسحاب كون غالبيتهم من الفرسان، ولكنهم تركوا بميدان المعركة (٨٠٠) شهيداً، وبعض قطع المدفعية، أما خسارة الفرنسيين من الجرحى فكانت أكثر من خسارتهم من القتلى<sup>(٤٤)</sup>.

كما قامت فرنسا بهجوم بحري على سواحل المغرب، وضربت طنجة بالقنابل، ولكن انجلترا تدخلت وأعلنت أن إحتلال أي نقطة من الأراضي المغربية سيكون سبباً للحرب مع فرنسا<sup>(٤٥)</sup>.

طلبت حكومة المغرب الصلح، وقامت المفاوضات بينهما، وجاءت معاهدة طنجة الموقع عليها سنة ١٢٦٠هـ / ١٠ سبتمبر ١٨٤٤م صورة طبق الأصل من الإنذار الذي وجهته فرنسا للمغرب. إذ أن السلطان قد تعهد فيها بأن يسجن عبد القادر في إحدى المدن المغربية في حلة ولوعه بين يديه، أما تحديد الحدود لمغربية للجزائر فكان موضوع إنقضية أخرى وقّع عليها في اللامتية سنة ١٢٦١هـ / ١٨ مارس سنة ١٨٤٥م، وهكذا سمحت معاهدة طنجة واللامتية لفرنسا بفتح الحرب على القادر والمجاهدين لجزائريين<sup>(٤٦)</sup>.

أما الأمير عبد القادر الجزائري فقد أنصرف عنه بعض أعوانه، ولم يبق معه إلا من كان أصلبهم عوداً وأشدهم حباً وتفاانياً في الجهاد في سبيل الله. وقد ساعدت قسوة الفرنسيين ووحشيتهم ضد الأهالي على تثبيت المجاهدين في تحرير بلادهم والإنقاذ من إعتداءات جنود الاحتلال، وكسبت فرنسا في إتفاقها مع سلطان المغرب، ولكنها خسرت نتيجة لإستخدام العنف والوحشية ضد الأهالي، وليس أقل على ذلك من الطريقة التي أستخدمها أحد القادة الفرنسيين لإعطاء مثل على قسوته أن أشعل النار في منخل مغارة كان قد التجأ إليها بضع مئات من الجزائريين مع نساءهم وأطفالهم - ومواشيهم، ولم يأت الصباح حتى كان الجميع قد قضى عليهم بالإختناق، ولقد تسببت هذه الجريمة في إثارة جزء من الرأي العام في فرنسا نفسها، وكانت سبباً في زيادة تصميم الجزائريين على الجهاد والكفاح رغم تخلي المغرب عنهم.

في إثارة جزء من الرأي العام في فرنسا نفسها، وكانت سبباً في زيادة تصميم الجزائريين على الجهاد والكفاح رغم تخلي المغرب عنهم.

وهكذا نرى قيام حركات بقيادة بعض الشيوخ المحليين والدينيين في جهات متعددة من الجزائر نادت كلها بالجهاد ضد الفرنسيين وساعد بعضها بعضاً في ذلك، وقد استطاع الأمير أن يقضي على قوة فرنسية كبيرة بالقرب من سيدي إبراهيم بكل ماأشتملت عليه من ضباط وجنود سنة ١٢٦١هـ/ ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٤٥ م، وحاصر قوى أخرى في نفس المنطقة وضيق عليها الحصار حتى سلم من بقي منها ومن بينهم الأسرى الجزائريون. وقد كان من أثر هذين الإنتصارين أن سلمت القوة الفرنسية المرابطة في سيدي موسى بالقرب من عين تموشنت للأمير عبد القادر دون أن تحارب، وازدادت نيران الثورة الجزائرية إستعلاءً في كل مكان مما اضطرت بيجو أن يعود بسرعة من فرنسا إلى الجزائر، ولكنه فشل في تطويق عبد القادر والمجاهدين الجزائريين<sup>(٤٧)</sup>.

ويمكن إعتبار عامي ١٢٦١-١٢٦٢هـ / ١٨٤٥-١٨٤٦م من أصعب السنوات التي أمضتها القوات الفرنسية في الجزائر، ولولا وجود القيادة في أيدي الماريشال بيجو

وإجباره لجنوده على سرعة الحركة في الهجوم والتفكير والإنتفاخ، ولولا ضخامة عدد المقاتلين الفرنسيين تحت إمرته، وحسن تدريبهم وتسليحهم وتفوقهم في كمية النيران والتكتيك والإمداد والتمويل لما تمكنت فرنسا من البقاء في الجزائر، وكانت القوات الفرنسية تخرج من مدينة الجزائر في ثياب جديدة، نشطة وكاملة التزود، وتعود إليها بعد شهور في ثياب بالية وبوجوه يظهر عليها الإعياء والتعب، ولكن كسوة الفرنسيين في حربهم ضد الجزائريين أنهكت قوى المجاهدين أيضاً. ونشرت الفقر والخراب في أنحاء الجزائر مما قلل من قوة مقاومة الجزائريين، وكان الحصار البحري المفروض على سواحل الجزائر مع الحصار البري المفروض على الحدود الغربية والشرقية يقلل من وصول الأسلحة والإمدادات إلى المجاهدين.

كما نشب خلاف بين بيجو وحكومته في باريس، وأخذ بيجو يشكو من أن حكومته منعه من تعقب عبد القادر دحل الأراضى المغربية، ومن إرسال حملة لإخضاع منطقة القبائل، وسحبت منه حق توزيع الأراضى على المستعمرين في المنطقة المحيطة بمدينة الجزائر، ورفضت إعطائه مبلغ ثلاثة ملايين فرنك لإنشاء مستعمرات لقنماء المحاربين، وللمسرحين من الجنود، وكان لوي فيليب يرغب في أن يعين ابنه الدوق دومال حاكماً عاماً على الجزائر لاعتقاده بأن قوات عبد القادر قد ضعفت وأن فترة الغزو قد انتهت وستلونها فترة الإدارة والاستعمار ما يسمح بتقليد هذا المنصب لابنه، فاستقال المارشال بيجو الذي حصل خلال حربه في الجزائر على أعلى رتبة (المارشالية)، ثم عين الملك ابنه حاكماً عاماً سنة ١٢٦٤هـ / ١١ سبتمبر سنة ١٨٤٧م<sup>(٤٨)</sup>.

وقامت فرنسا بالضغط السياسي على سلطان مراکش وأبلغته أن قواتها ستدخل حدود المغرب لتعقب الأمير عبد القادر والمجاهدين الجزائريين سواء سمح هو بذلك أو لم يسمح، فما كان من السلطان إلا أن أمر عبد القادر بتسريح قواته والحضور بنفسه إلى مدينة فاس، ولما رفض الأمير هذا الأمر مستنداً إلى تعضيد العلماء له، أرسل سلطان المغرب قوة عسكرية لتنفيذ أمره في نفس الوقت الذي وضع فيه الفرنسيون خمسة آلاف جندي على الحدود عند اللامغنية لإنتظار خروج عبد القادر من الأراضى

المغربية، وحارب عبد القادر قوة المغاربة، وأنزل بها خسائر فادحة، ولكنه اضطر إلى التقهقر صوب الحدود ثم عبر المولوية ولكنه اضطر إلى أن يحارب من جديد. ثم نصح مجاهديه في آخر الأمر أن يتفرقوا وتابع هو سيره جنوباً محاولاً النخول في الأراضي الجزائرية<sup>(٩٩)</sup>.

وكانت القوات الفرنسية تعلم كل حركات الأمير، وكانت قد أقامت له النقاط العسكرية على طول الحدود، مما اضطره إلى طلب التسليم على أساس وعد بالسماح له بالسفر إلى الإسكندرية أو عكا، وقد قبل الفرنسيون هذا الشرط، واستقبلوه إستقبالاً يليق بخصم شهيم، وبرئيس دولة محاربة، وبقائد جيش شجاع، ثم جاء الدوق دومال بنفسه لقبول إستسلام الأمير، وقبل منه فرسه السوداء التي كانت كل ما يملك ويحب من حطام الدنيا<sup>(١٠٠)</sup>.

تم إستسلام الأمير عبد القادر سنة ١٢٦٤هـ/أواخر ديسمبر سنة ١٨٤٧م، ولكن فرنسا لم تنفذ وعدها بالسماح له بالسفر إلى الشرق إلا في عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م وذلك بسبب نشوب ثورة فبراير سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م. وقد استقر به الأمر في مدينة دمشق هو وأسرته بعد أن أمضى خمسة عشر عاماً في الجهاد ضد المحتل الأجنبي، وبعد أن أثبت أنه رجل سياسي ماهر، وقائد محنك، وإداري وحاكم ووطني مستبتر<sup>(١٠١)</sup>.

وكما أن إستيلاء القوات الفرنسية على مدينة الجزائر قد سبق سقوط شارك العاشر ببضعة أشهر، نجد أن إستسلام الأمير عبد القادر قد سبق سقوط لوي فيليب بفترة وجيزة، وكان من أولى نتائج الثورة عزل الأسرة المالكة ونفيها من الأراضي الفرنسية، وتعيين خليفة للدوق دومال في الجزائر. فتركها إلى إنجلترا مصحوباً بأخيه دوق جرانفيل قائد البحرية السابق في غرب البحر المتوسط، أما الجزائر فإنها قد أصبحت فريسة سهلة أمام رجال الإرادة الفرنسية ورجال الإستعمار فاستخدموها حقلاً لتجار بهم.

## موقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسي للجزائر :

كانت الدولة العثمانية تمر بظروف سيئة للغاية في عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣ - ١٢٥٥ هـ / ١٨٠٨ - ١٨٣٩ م) حيث كثرت الفتن والإضطرابات الداخلية في الدولة العثمانية، وخاضت الدولة معارك هائلة في الداخل والخارج. مثل معاركها مع تابعها محمد علي في مصر، وحروبها ضد أسرة القرملي التي أسقطت بطرابلس، وتهدة بعض الفتن والثورات الداخلية في بلاد الشام والعراق. بالإضافة إلى الحروب الخارجية مع روسيا واليونان. مما أثقل كاهل الدولة عسكرياً، خاصة أن هذه الحروب قد جاءت بعد قضاء السلطان محمود الثاني على الجيش الإنكشاري عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٦ م.

وكانت الجزائر ولاية عثمانية تتبع الباب العالي في إسطنبول. إلا أنها كانت تتمتع بحكم ذاتي داخلي أعطي لها منذ أيام الدايات، ورغم هذا فإن الجزائر لم تطلب في وقت من الأوقات الانفصال عن الدولة العثمانية بل كانت تعتر بالإنسحاب إليها والإرتباط بها على الرغم من مخالفتها في بعض الأحيان الأوامر الصادرة عن إسطنبول<sup>(٥٢)</sup>.

وحينما علم السلطان محمود الثاني بأن الخلاف بين الجزائر وفرنسا قد وصل إلى القمة، وأن الإستعدادات في فرنسا تجري على قدم وساق من أجل غزو الجزائر وإحتلالها. اتخذت عدة أساليب من أجل الحيلولة دون هذا الإحتلال. وأصدر أمراً إلى مفتي الجزائر السابق الذي كان يقيم في مدينة إزمير الشيخ خليل أفندي وزوده السلطان بعدة مقترحات من أجل حل الأزمة القائمة بين الجزائر وفرنسا وكلفه بالسفر إلى الجزائر من أجل هذه المهمة. إلا أن مهمة خليل أفندي قد فشلت لتصميم فرنسا على الإحتلال<sup>(٥٣)</sup>.

لجأ السلطان محمود بعد فشل مهمة خليل أفندي إلى أسلوب آخر أكثر فعالية. حيث استدعى السفير البريطاني في إسطنبول، وطلب منه أن ينقل إلى حكومته في لندن

رغبة الدولة العثمانية في رفع الحصار البحري الفرنسي عن الجزائر، وأن تقوم بريطانيا بدور الوساطة بين فرنسا والجزائر. وكان السلطان يعلم مدى التناقس الشديد بين كل من بريطانيا وفرنسا. لذلك حاول السلطان أن يشرح للتفسير البريطاني خطورة الإحتلال الفرنسي للجزائر وأن هذا سيضر بالمصالح العثمانية والبريطانية على حد سواء<sup>(٥٤)</sup>.

غير أن الحكومة البريطانية لم ترد على طلب السلطان. فعمد الأخير إلى كتابة رسالة إلى الحكومة البريطانية سلمها السفير العثماني إلى وزير خارجية بريطانيا، وقد ألح السلطان في رسالته هذه على سرعة التدخل، وذكر حكومة لندن موقفها المشرف من حملة نابليون بوناپرت على مصر الذي لا يزال كل مسلم من رعايا الدولة العثمانية يذكره بالشكر والتقدير، وختم السلطان محمود رسالته بأنه واثق كل الثقة من سرعة تدخل بريطانيا لصالح الدولة العثمانية<sup>(٥٥)</sup>.

أهتمت بريطانيا بأمر الحملة الفرنسية على الجزائر. لأنها لا تريد أن تطأ الأقدام الفرنسية المناطق الكائنة ما بين مالطة وجبل طارق، بل لا تريد دخول فرنسا منطقة الشمال الإفريقي. فكيف تستريح وتستقر وهي ترى عدوتها الأولى ومنافستها الوحيدة تريح الجولة. وبناءً عليه قد بنات بعض للمساعي في كل من باريس والجزائر. ويستقبل لإيقاف هذا العمل الحربي. ثم لجأت بعد ذلك إلى الوعد والتهديد لفرنسا إذا هي أتمت على مثل ذلك العمل. فرد ملك الفرنسي على آراء الحكومة البريطانية بقوله: "نحن لا نتدخل في شئون إنجلترا وعليها ألا تتدخل في شؤوننا"<sup>(٥٦)</sup>.

ولم يكتف السلطان بإهتزازة الحكومة البريطانية بل أصدر تعميماً إلى جميع السفراء العثمانيين في العواصم الأوروبية كلفهم بمناشدة تلك الدول سرعة التدخل لإيقاف الزحف الفرنسي على الجزائر الذي يهدد الملاحة الدولية في البحر المتوسط. وختم السلطان تعميماته هذه بنوع من التهديد. إذ أن معظم الدول الأوروبية الكبرى تحتل بلاداً إسلامية وشعوباً مسلمة في كل أنحاء الأرض. ولن تقف تلك الشعوب الإسلامية مكتوفة الأيدي إزاء هذا الإحتلال، ويخشى - السلطان - من قيام حرب عالمية لا تتطفيء إلا بعد أن يكتوي الجميع بنارها<sup>(٥٧)</sup>.

هال السلطان محمود الصمت المروع الذي لاذت به الدول الأوربية، فقرر إرسال أحد كبار رجال الدولة العثمانية من أجل التفاوض والوصول إلى حل يرضى الطرفين، وأرسل طاهر باشا قائد الاسطول العثماني في معركة نفارين. وحمله مذكرة فيها مقترحات الصلح. ولكنه وصل متأخراً إذ كان الجيش الفرنسي يحاصر مدينة الجزائر، وتوجه طاهر باشا إلى قائد الأسطول الفرنسي، وعرض عليه شروط الصلح، فرد عليه قائد الأسطول أن هذه الشروط يجب عرضها على المجلس الملكي في باريس، أما قائد الجيش الفرنسي فقد رفض مقابلة طاهر باشا، وأمر بترحيله إلى ميناء طولون في فرنسا في حراسة عسكرية مشددة، وكان الغرض الحقيقي إبعاد طاهر باشا حتى يتم الإحتلال<sup>(٥٨)</sup>.

أصبحت الدولة العثمانية بعد الإحتلال الفرنسي للجزائر أمام أمر واقع مؤلم، ومما زاد في ألمه أن الدولة لا تملك جيشاً قوياً تحارب به الفرنسيين. إضافة إلى ذلك أنها لازالت تعاني من بعض المشكلات والثورات الداخلية. لكن رغم ذلك كله لم تستسلم الدولة العثمانية بل بذلت كل ما تستطيع عليه من مساع دبلوماسية وعسكرية.

بعث السلطان محمود الثاني بعدة رسائل إلى جهات مختلفة، وقد عثرت على بعضها أثناء بحثي في الإرشيف العثماني منذ سنوات طويلة. وسوف استعرض بعضها بإيجاز شديد إن شاء الله تعالى.

أرسل السلطان محمود الثاني رسالة مؤرخة في ٢٩ محرم سنة ١٢٤٦هـ/ الموافق ٢١ يوليو سنة ١٨٣٠م موجهة إلى علماء الجزائر وأهل الحل والعقد فيها يحثهم على التضحية والإستبسال وللجهاد في سبيل الله، وينكرهم فيها بما أعده الله للمجاهدين من أجر كبير وخير وفير في الدنيا والآخرة، كما ينكرهم بجهاد أسلافهم الأوتل، وما فعله إخوانهم المصريون الذين أجبروا القوات الفرنسية على مغادرة مصر وهي تجر أنيال الخيبة والخسران والعار، وقد وعد السلطان في هذه الرسالة أهل الجزائر بوقوف الدولة العثمانية إلى جانبهم بعد أن تتخلص من بعض المشاكل الداخلية<sup>(٥٩)</sup>.

كما بعث الداى أحمد حاكم قسطنطينية برسالة إلى السلطان محمود مؤرخة في سنة ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م يستجد فيها بالدولة العثمانية، ويشرح فيها ضعف الإمكانيات التي يملكها للدفاع عن قسطنطينية، ويُلح على السلطان في سرعة إرسال الأسطول العثماني أو جيش قوي يمنع سقوط هذه المدينة في أيدي الأعداء<sup>(١٠)</sup>.

وجه السلطان محمود رداً على أحمد باي قسطنطينية في نفس السنة بطمئنه بقوة تحصينات المدينة وقوة المدافعين عنها، وأنه يثق بخبرة الداى وتجربته في ميدان المعارك، كما ذكر السلطان في رسالته بأنه سيبعث قطعاً من الاسطول العثماني للدفاع عن المدينة من جهة البحر، كما بطمئنه بأنه سيبعث بجيش بري يصل إلى الجزائر عن طريق طرابلس وتونس، ولن تسقط المدينة في أيدي الأعداء بإذن الله كما قال السلطان<sup>(١١)</sup>.

وحينما رأى السلطان إنتصارات الفرنسيين في الجزائر، وإستماتت أهل البلاد في الدفاع عن دينهم وأرضهم وأموالهم وأعراضهم، وحينما رأى صمت الدول الأوروبية عن الأعمال الوحشية التي ارتكبتها قادة الجيش الفرنسي في الجزائر أعلن الجهاد في سبيل الله، وأيده العلماء والفقهاء الذين رأوا حسب تعاليم الدين الإسلامي أن الجهاد أصبح فرض عين إذا حل الكفار بديار المسلمين، وأمر السلطان بأن تقرأ هذه الفتوى في خطب الجمعة وأماكن تجمع الناس<sup>(١٢)</sup>. وكان لهذا الإعلان صدى كبير في جميع أنحاء الدولة العثمانية، فتوافدت وفود المجاهدين من كل مكان. من الاناضول، وبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية، ومصر وبقية بلاد شمال إفريقيا. التي كانت تتوقع أن يحل بها ما حل بالجزائر، وانظم بعض هؤلاء المتطوعين إلى أحمد باي قسطنطينية، والبعض الآخر إلى الأمير عبد القادر الجزائري، والبعض الثالث واصل الجهاد تحت قيادة بعض العلماء والفقهاء بغية النصر أو الشهادة.

وكانت نقطة الضعف في المقاومة الجزائرية الفرقة، وعدم وحدة القيادة، فأحمد باي قسطنطينية يجاهد في شرق الجزائر، والأمير عبد القادر في غرب الجزائر، وبقية المتطوعين من أنحاء الدولة العثمانية ورجال القبائل متفرقين في أنحاء البلاد. فكان

يعززهم القيادة الموحدة، خاصة وأن الجيش الفرنسي يتبع بقيادة موحدة وأسلحة متطورة. وعقب توقيع معاهدة تافنا بين الأمير عبد القادر الجزائري والقوات الفرنسية عام ١٢٥٤ هـ / ١٨٢٨ م بعث السلطان محمود الثاني برسالة حملها القائد العثماني نجيب باشا إلى الأمير عبد القادر، أبدى فيها السلطان إعجابه الشديد بمهارة الأمير وحسن قيادته السياسية والعسكرية التي سوف تحقق النصر المؤزر للإسلام والمسلمين في الجزائر، ويطلب السلطان من الأمير بذل المزيد في الجهاد حتى لا تقوم للنصارى قائمة بعد اليوم، ويكون مصيرهم نفس المصير الذي تلقوه في مصر. وذكر السلطان في رسالته هذه بأنه تم إرسال كميات كبيرة من الأسلحة الخفيفة والبارود... ويستوضح السلطان عما إذا كانت هذه الأسلحة والإمدادات قد وصلت للأمير أم لا<sup>(١٢)</sup>. ولم أجد في الإرشيف العثماني أو في المصادر والمراجع التركية والجزائرية ما يشير إلى ذلك. وقد يكون الجيش الفرنسي قد استولى عليها.

هذا من ناحية الجهود السياسية والدبلوماسية التي بذلها السلطان محمود الثاني من أجل حل مشكلة الجزائر.

ولم تقتصر جهود الدولة العثمانية على الناحية السياسية فقط بل تداخل معها جهود عسكرية أشير إلى بعضها إشارة سريعة.

بعد أن فرغت الدولة العثمانية من تسوية مشكلاتها مع محمد علي والي مصر في عام ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م عقب حرب الشام الأولى بعقد صلح كوتاهية عام ١٢٤٩ هـ / ٨ أبريل (نيسان) عام ١٨٣٣ م حاولت استخدام القوة لإسترداد الجزائر من فرنسا، وكان مما شجعها على اللجوء إلى الحرب أن فرنسا لم تكن وطدت نفوذها في الجزء الشرقي من الجزائر، وفي الأقاليم الداخلية مثل قسنطينة، ولكن كانت فرنسا تعلم تماماً أنه ليس في متناول الأسطول العثماني ولا الجيش العثماني خوض معارك ضد قواتها المسلحة، وفي هذه الفترة نجحت الدولة العثمانية في إنهاء حكم أسرة القرمانلي في طرابلس (ليبيا) عام ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م وأعدت هذه النيابة إلى الحكم العثماني المباشر. وأسغلت الدولة هذا الوضع الجديد في نيابة

طرابلس وأعلنت عن عزمها إرسال قوات برية من الأناضول إلى طرابلس تزحف في الداخل عبر الأراضي التونسية إلى الجزائر للإشتراك في الدفاع عن قسنطينة التي كان يدافع عنها الحاج أحمد باي قسنطينة، وطلبت الدولة العثمانية من باي تونس تسهيل مرور القوات العثمانية البرية عبر أراضيها من طرابلس إلى الجزائر، كما أراد الباب العالي منح رتبة الباشوية لأحمد باي قسنطينة لتوطيد مركزه تجاه الفرنسيين، وليزداد أهل الجزائر التفافاً حوله. فتلقى الباب العالي إنذاراً من الحكومة الفرنسية جاء فيه أن منح الحاج أحمد هذا اللقب سيؤدي إلى عواقب وخيمة، وطلبت أن يكف الباب العالي فوراً عن تدخله في موضوع قسنطينة، كما أبلغت فرنسا الحكومة العثمانية أن باريس لن تغض الطرف عن تعيين والٍ معادٍ لها في تونس، وإذا أرسلت الحكومة العثمانية قوات عسكرية إلى باي قسنطينة فإن فرنسا تعتبر نفسها في حالة حرب مع الدولة العثمانية<sup>(٦٤)</sup>.

وعلى الرغم من هذه التهديدات الفرنسية المستمرة والمتلاحقة. فقد دخلت الدولة العثمانية في تجربة جديدة ومحدودة، وأرسلت بعض وحدات من أسطولها بقيادة فوزي باشا إلى ميناء طرابلس في عام ١٢٥٣هـ / أواخر شهر يوليو (تموز) عام ١٨٣٧م، ثم واصل الأسطول سيره إلى ميناء تونس، وردت الحكومة الفرنسية بتوجيه أسطولها في سبتمبر (أيلول) إلى ميناء تونس بحجة حماية مصالحها في حوض البحر المتوسط، وكان من المقرر أن يجري فوزي باشا إتصالات مع مصطفى باشا باي تونس. ولكن تهرب الأخير من مقابلة مندوبية تحت ضغط الأسطول الفرنسي، وخشي السلطان محمود الثاني أن يتحرش الأسطول الفرنسي بالأسطول العثماني قبل وصول الإمدادات الجديدة من إسطنبول. وظل الأسطول العثماني رابضاً في مياه طرابلس وتجنب الإكتراب من المياه التونسية. ولذلك لم تطل مدة مكث الأسطول العثماني في مياه طرابلس، فزار مالطة ثم أفلح في سبتمبر (أيلول) من السنة نفسها إلى إسطنبول، وظل الأسطول الفرنسي يقتضي أثره حتى مضيق الدردنيل<sup>(٦٥)</sup>.

هذه هي إمكانيات الدولة العثمانية وجهودها تجاه الجزائر، وهي جهود تشكر عليها. لأن الدولة قد شاخت وهرمت وأصبحت غير قادرة عن الدفاع عن نفسها أو عن عاصمتها إستانبول، وقد صاحب هذا الضعف في الدولة العثمانية كثرت التمرد والثورات الداخلية كما ذكرت سابقاً حتى لم يكذبوا قطر من أقطار الدولة العثمانية من ثورة أو تمرد.

وإنني أختلف إختلافاً كاملاً مع ما ذكره الأستاذ ساطع الحصري في كتابه البلاد العربية والدولة العثمانية ص ١٥٨ حيث ذكر أن الدولة العثمانية التزمت موقف الحياد التام " في الخصام الذي قام بين فرنسا والجزائر حتى أنها لم تحتج على عمل فرنسا، ولو احتجاجاً صورياً. وذلك على الرغم من تصريحاتها المنكرة بأن القطر الجزائري ملك للدولة العلية. وبأن أهلها من تبعه الدولة العثمانية. وبأن حكام الجزائر لم يأتوا بعمل يخالف رضاء الله وينافي إرادة السلطان. وكل شيء يدل على أن رجال الدولة كانوا قد زعموا أن واجبهم نحو فرنسا يعادل واجبهم نحو الجزائر. ولذلك لم يجدوا في استيلاء الفرنسيين على تلك البلاد ما يستوجب التأثير والإعتراض<sup>(٦٦)</sup>

وهذا القول غير صحيح ومنافي للحقيقة والواقع التي أثبتتها المصادر والمراجع العربية والتركية والأجنبية.



الهوامش

(١) عن كيفية دخول الجزائر في الحكم، وسياسة الدولة العثمانية فيها أنظر :

- عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، العصر الإسلامي، الناشر الدار القومية

للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦ م، ص ٤٨٧ - ٥٠٠

- ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. طبعة ليدن

١٩٤٨ م، ج ١ و ٢.

- صلاح العقاد : للمغرب العربي، الجزائر - تونس - المغرب الأقصى دراسات

في تاريخه الحديث ومشاكله المعاصرة. مكتبة الأنجلو

المصرية ١٩٦٢ م، ص ٢١ و ٢٢.

- زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية. بيروت،

لبنان ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٤٨٨ وما بعدها.

- إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي، الجزء الثاني،

دار المريخ للنشر ١٤٠٣ هـ، ص ١١٩.

(٢) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر : المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢٥.

(٣) رافت غنيمي الشبخ: في تاريخ العرب الحديث، دار الثقافة بالقاهرة، ص ٣٨٦.

(٤) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير

البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٧، ص ٦٢٠.

(٥) رافت غنيمي الشبخ : المرجع السابق، ص ٣٨٦.

(٦) حمدي حافظ ومحمود الشرفاوي : الجزائر مشكلة دولية (كتب سياسية)، دار

القاهرة للطباعة، ص ١٢.

عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ - ١٩٦٠ م، القاهرة

١٩٨٢ م، ص ٢٧.

(٧) جلال يحي : السياسة الفرنسية في الجزائر، دار المعرفة، الطبعة الأولى،

١٩٥٩ م، ص ٦١.

محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل بيروت

١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ص ٢٣٢.

- (٨) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، دار المعارف بمصر، ص ١١٩.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار المتنبي، الدوحة، ص ٢٢٢.
- أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الطبعة الثانية ١٩٧٦م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ٢٤.
- (٩) سيمون بفايفر : منكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمة أبو العيد ودود، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٧٢م، ص ٥٧ و ٥٨.
- (١٠) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ١٨٩.
- أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر، ج ٣، دار الشعب ص ٩٥٣ و ٩٥٤.
- (١١) جلال يحيى : المرجع السابق، ص ١٢١.
- (١٢) نقولا زيادة : قصة الإستعمار في العالم العربي، منشورات الفاخرية، الرياض، ص ٣٩.
- (١٣) تقع هذه الجزيرة على بعد خمسة وعشرين كيلو متراً من الجزائر.
- (١٤) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، ص ١٢٤ و ١٢٥.
- (١٥) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، ص ١٢٤ و ١٢٥.
- (١٦) أنظر نص الإثباتية في :
- محمد عبد القادر الجزائري : تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر. شرح وتعليق ممدوح حقي، بيروت ١٩٦٤م، ص ١٣٤ و ١٣٦.
- (١٧) نقولا زيادة : المرجع السابق، ص ٤١ و ٤٢.
- (١٨) أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث. دار النهضة العربية، ١٩٧٠، ص ٤١١.
- (١٩) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١ ص ١٢٧.
- (٢٠) أحمد الخطيب : الثورة الجزائرية، دار العلم للملايين، بيروت، ص ٥٧ وما بعدها.

(٢١) ولد الأمير عبد القادر عام ١٢٢٢هـ - مايو (أيار) عام ١٨٠٧ م في قرية القيطنة التابعة لإيالة وهران، وكان والده من كبار العلماء في الجزائر حفظ القرآن الكريم وهو صغيراً، واشتهر في السابعة عشرة من عمره بشدة البأس، وقوة البدن والفروسية حتى كان يُسار إليه بالبنان بين الفرسان لمهارته في ركوب الخيل. وفي عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م صحب والده إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، ومرا في طريقهما بالإسكندرية، وزارا القاهرة، وفيها محمد علي باشا فأكرمهما، ومن القاهرة قصدا الحجاز عن طريق السويس، وعرجا بعد الحج نحو دمشق فظيا فيها زمناً وسارا منها إلى بغداد، ثم عادا من هناك إلى الحرمين الشريفين ثانية، ومنها إلى وطنهما فوصلاه في أوائل عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م. لمعرفة المزيد عن الأمير عبد القادر أنظر :

( لوتروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي. ترجمة عجاج نويهض، تعليقات الأمير شكيب ارسلان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م، ج٢، ص١٦٨).

(شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الانجلو المصرية، ص٣٦٥)

(يحي بوعزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص ٤١ وما بعدها).

(أديب حرب : التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري ١٨٠٨ - ١٨٤٧م الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ج١، ص٦٧-٨٠).

(٢٢) خير الدين الزركلي : الأعلام. قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الجزء الرابع ص ٤٥ ، ٤٦.

بسام العسيلي : الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، ص ٢٠ - ٣٠.

(٢٣) شارل هنري تشرشل : حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله - الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٧٤م ص ٥٥ و ٥٦.

- (٢٤) زاهية قنورة : المرجع السابق، ص ٤٩٩.
- (٢٥) أييب حرب : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٠ - ٧٢.
- (٢٦) أنظر نصوص هذه المعاهدة في : شارل هنري تشرشل : المرجع السابق، ص ٦٧ - ٦٩.
- (٢٧) أنظر نصوص معاهدة تافنا في :
- محمد بن عبد القادر الجزائري : المصدر السابق، ص ٢٧٧ - ٢٧٩.
- كاتب ياسين : الأمير عبد القادر وإستقلال الجزائر ترجمة محمد هناد. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر، ص ٤٠ - ٤١.
- (٢٨) عبد العزيز الشناوي : الدولة للعثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة القاهرة ١٩٨٠ م، ج ٢، ص ٩٥٦.
- (٢٩) أرجمند كوران : أحمد باي قسنطينة المدافع عن الجزائر. بحث مقدم للمؤتمر التاريخي الخامس الذي عقد في أنقرة في الفترة من ١٢ إلى ١٧ أبريل - نيسان عام ١٩٥٦، وقد نشره الدكتور عبد الجليل التميمي كملحق لرسالة الدكتور كوران التي عربها، ص ٧٨ - ٨٥.
- (٣٠) أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث. بداية الإحتلال. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٦ م ص ٣٤ - ٣٧.
- (٣١) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، ص ١٤٠.
- (٣٢) أرجمند كوران : أحمد باي قسنطينة المدافع عن الجزائر. مرجع سبق ذكره، ص ٧٨ - ٨٥.
- يحيى بوعزيز : ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين. دار البعث، الطبعة الأولى ١٩٨٠ م، الجزائر ص ١١.
- (٣٣) لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي، ج ٢، ص ١٧٠.
- (٣٤) شارك هنري تشرشل : المرجع السابق، ص ١٨١ و ١٨٢.

- (٣٥) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، ص ١٤٥.
- (٣٦) جلال يحيى : المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٥ و ١٤٦.
- (٣٧) علي حصون: تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ  
/١٩٨٠م، ص ١٣٤.
- (٣٨) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، ص ١٤٧.
- (٣٩) بسام العسيلي : المرجع السابق، ص ١٣٨.
- (٤٠) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، ص ١٥٠ - ١٥٢.
- (٤١) لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي، ج ٢، ص ١٧١.
- (٤٢) رأفت غنيمي الشيش : المرجع السابق، ص ٤٠٥.
- (٤٣) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، ص ١٥٢ و ١٥٣.
- (٤٤) أديب حرب : التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج ٢،  
ص ٤٥٨ - ٤٦٢.
- (٤٥) حسن محمد جوهر ومحمود مرسي أبو الليل : الجزائر، دار المعارف  
بمصر، ص ٤١ و ٤٢.
- (٤٦) بسام العسيلي : المرجع السابق، ص ١٤٧ و ١٤٨.
- (٤٧) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، ص ١٥٦ - ١٥٨.
- (٤٨) جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، ص ١٥٨ و ١٥٩.
- (٤٩) كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٦٢٦.
- (٥٠) حسن محمد جوهر ومحمود مرسي أبو الليل : الجزائر، ص ٤١ و ٤٢.
- (٥١) سيد محمد إبراهيم : الجزائر، دار النهضة بمصر للطباعة والنشر، القاهرة،  
ص ٣٦.
- محمد كامل حسن المحامي: الأمير عبد القادر الجزائري، الطبعة الثالثة،  
بيروت، ١٩٨٠م، ص ٩٦ - ١١٠.

(٥٢) عزيز صالح لتر : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٦٢٧.

(٥٣) عزيز صالح لتر : المرجع السابق، ص ٦٤٢.

(٥٤) المدورية العامة لدار محفوظات رئاسة الوزراء، إحتيول،

وثيقة رقم (٧١٢)، تاريخ ١٠ ربيع الثاني ١٢٤٥هـ / ١١ سبتمبر ١٨٢٩م من  
السلطان محمود الثاني (لم يترك اسم المرسل إليه).

(٥٥) وثيقة رقم (٧٣١)، تاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٢٤٥هـ / ٣١ سبتمبر ١٨٢٩م  
من السلطان محمود إلى وزارة الخارجية البريطانية.

(٥٦) عزيز صالح لتر : المرجع السابق، ص ٦٣٧ - ٦٣٨.

(٥٧) المدورية العامة لدار محفوظات رئاسة الوزراء، إحتيول.

وثيقة رقم (٨٢٥)، تاريخ ٢ شوال ١٢٤٥هـ / ١٣ فبراير ١٨٢٩م، من  
الباب العالي (لم يترك اسم المرسل إليه).

(٥٨) عزيز صالح لتر : المرجع السابق، ص ٦٤٣ - ٦٤٤.

(٥٩) المدورية العامة لدار محفوظات رئاسة الوزراء، إحتيول،

وثيقة رقم (٧١٠)، تاريخ ٢١ محرم ١٢٤٦هـ / ٢١ يوليو ١٨٢٠م، من الباب  
العالي إلى أهل الجزائر.

(٦٠) وثيقة رقم (٧٨١)، تاريخ ١٢ نو الحجة ١٢٥٢هـ / ١٠ نوفمبر ١٨٢٦م، من  
الداي أحمد حاكم قسنطينة إلى مقام السلطان.

(٦١) وثيقة رقم (٧٨٩)، تاريخ ٢٨ نو الحجة ١٢٥٢هـ / ٢٦ نوفمبر ١٨٢٦م،  
من السلطان محمود إلى حاكم قسنطينة.

(٦٢) المدورية العامة لدار محفوظات رئاسة الوزراء، إحتيول،

وثيقة رقم (٨٤٠)، تاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٢٥٤هـ / ٢٣ يونيو ١٨٢٨م، من  
الباب العالي إلى مفتي الدولة.

- (٦٣) المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة الوزراء، إستانبول، وثيقة رقم (٨٥١)، تاريخ ٢٩ ذو الحجة ١٢٥٤ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٨٣٨ م، من السلطان محمود إلى إمام المجاهدين الأمير عبد القادر.
- (٦٤) أرجمند كوران : أحمد باي كسنطينة المدافع عن الجزائر، ص ٧٨ - ٨٥.
- (٦٥) أرجمند كوران : السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، ص ١١ - ١٣.
- (٦٦) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٦٥ م، دار العلم للملايين، ص ١٥٨.

## المصادر والمراجع



## القسم الأول : الوثائق العثمانية

وثائق عثمانية غير منشورة من المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة مجلس

الوزراء، إستانبول. BASBAKANLK ARSIVI

- وثيقة رقم (٧١٢)، تاريخ ١٠ ربيع الثاني ١٢٤٥ هـ / ١١ سبتمبر ١٨٢٩ م. من  
السلطان محمود (لم يذكر بسم المرسل إليه).

- وثيقة رقم (٧٣١)، تاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٢٤٥ هـ / ٣١ سبتمبر ١٨٢٩ م. من  
السلطان محمود إلى وزارة الخارجية البريطانية.

- وثيقة رقم (٨٣٥)، تاريخ ٢ شوال ١٢٤٥ هـ / ١٣ فبراير ١٨٢٩ م. من  
الباب العالي (لم يذكر اسم المرسل إليه).

- وثيقة رقم (٧٩٠)، تاريخ ٢٩ محرم ١٢٤٦ هـ / ٢١ فبراير ١٨٣٠ م. من  
الباب العالي إلى أهل الجزائر.

- وثيقة رقم (٧٨١)، تاريخ ١٢ ذو الحجة ١٢٥٢ هـ / ١٠ نوفمبر ١٨٣٦ م. من  
الداي أحمد حاكم قسنطينة إلى مقام السلطان.

- وثيقة رقم (٧٨٩)، تاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٢٥٢ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٨٣٦ م. من  
السلطان إلى حاكم قسنطينة.

- وثيقة رقم (٨٤٠)، تاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٢٥٤ هـ / ٢٣ يونيو ١٨٣٨ م. من  
الباب العالي إلى مفتي الدواة.

- وثيقة رقم (٨٥١)، تاريخ ٢٩ ذو الحجة ١٢٥٤ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٨٣٨ م. من  
السلطان محمود إلى إمام المجاهدين الأمير عبد القادر.

## القسم الثاني : المصادر والمراجع العربية والمعربة

- أديب حرب : للتاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري ١٨٠٨/١٨٤٧م. الطبعة الأولى ١٩٨٣م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.
- أحمد الخطيب : الثورة الجزائرية، دار العلم للملايين، بيروت.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية ١٩٧٠م.
- أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر. ج ٣، دار الشعب.
- إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي، دار المريخ للنشر ١٤٠٣هـ.
- أرجمند كوران : السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر.
- أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث. بداية الإحتلال. المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم ١٩٧٦ م.
- أين عذاري : البيان للمغرب في أخبار الأندلس والمغرب، طبعة ليدن ١٩٤٨م، ج ١ و ٢.
- بسام العسيلي : الأمير عبد القادر للجزائري، دار النفائس.
- جلال يحيى : السياسة الفرنسية في الجزائر، دار المعرفة، ط ١، ١٩٥٩ م.
- جلال يحيى : العالم العربي الحديث، ج ١، دار المعارف بمصر.
- حمدي حافظ ومحمود الشرقاوي : الجزائر مشكلة دولية. كتب سياسية، دار القاهرة للطباعة.
- حسن محمد جوهر ومحمود مرسي أبو الليل : الجزائر، دار المعارف بمصر.
- خير الدين الزركلي : الاعلام. قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، الجزء الرابع.
- رأفت غنيمي الشبخ: في تاريخ العرب الحديث. دار الثقافة بالقاهرة، ط ١، ١٩٧٥م.
- زاهية قنورة: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- سيد محمد إبراهيم : الجزائر، دار النهضة بمصر للطباعة والنشر، القاهرة.

- سيمون بفايفر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمة أبو العيد ودود  
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٢ م.
- ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٥م،  
دار العلم للملايين.
- شوقي عطا الله لجمال: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية.
- شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الدار  
التونسية للنشر، تونس ١٩٧٤ م.
- صلاح العقاد: المغرب العربي، الجزائر- تونس- المغرب الأقصى، دراسات في تاريخه  
الحديث ومشاكله المعاصرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- صلاح العقاد: الجزائر المعاصرة، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- عزيز سامح التتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي،  
دار النهضة العربية، بيروت.
- عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٢، مكتبة  
الأنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠ م.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، سلسلة الكتاب  
الجامعي (١)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار المتنبى، قطر.
- علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، العصر الإسلامي، الدار القومية للطباعة  
والنشر، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- عبد الرحيم بن سلامة: المغرب قبل الاستقلال، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- عبد الله شريط ومحمد الميلي: للجزائر في مرآة التاريخ، ١٩٦٥ م.
- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي،  
الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت.

- لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي، ج ٢، ترجمة عجاج نويهض. دار الفكر، بيروت، ط ٤، سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م.
- محمد كامل حسين المحامي: الأمير عبد القادر الجزائري، ط ٣، بيروت، ١٩٨٠ م.
- محمد بن عبد القادر الجزائري : تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممنوح حقي، بيروت، ١٩٦٤ م.
- محمد عبد الغني سعودي : الوطن العربي، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- محمد عبد الرحمن برج : دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤ م.
- محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.
- محمد علي دبور : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الطبعة التعاونية، ط ١، ١٣٨٥ هـ.
- نقولا زيادة : قصة الإستعمار في العالم العربي، منشورات الفاخرية، الرياض.
- يحيى بو عزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- يحيى بو عزيز : ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، دار البعث، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م.



- أرجمند كوران: أحمد باي قسنطينة المدافع عن الجزائر. بحث مقدم للمؤتمر التاريخي الخامس الذي عقد في أنقره في الفترة من ١٢ إلى ١٧ من شهر أبريل (نيسان) عام ١٩٥٦ م، نشره الدكتور عبد الجليل التميمي كمحلق لرسالة الدكتور كوران التي عربها.